

الجغرافيا الاجتماعية التطبيقية : ادارة التخطيط المكاني في الحوارات الانعكاسية
منظور بحثي نحو نظرية الممارسة

ترجمة وتعليق

(¹) أ.د. مضر خليل عمر

**Applied Social Geography : Management of spatial planning
in reflective discourse**

Research perspectives towards a 'theory of practice'

Markus Hilpert (²)

١ - المدخل

تغيرات كبيرة قد طرأت على الجغرافيا الاجتماعية التطبيقية، حيث انتقلت من الوصف العلمي الى ممارسة الاستشارات ورسم ملامح السياسة التخطيطية ، وفي الوقت نفسه تحولت من التخطيط المكاني الى مشاريع تنمية مكانية فاعلة . وقد نتج عن هذا جملة من المشاكل المرتبطة بادارة مشاريع التنمية المكانية وتنظيمها . وبالنسبة الى مشكلات الممارسة والتطبيق فان التطبيقات المتفائلة (التعلم من خلال العمل) وحدها غير القادرة على حل هذه الاشكالات . ومن الضروري جدا تخمين ما يمكن أن يحدث عند التطبيق (التعلم عن طريق التفحص والاختبار) . ومع ان كل مشروع تنمية قد يبدو في الوهلة الأولى مميزا بحد ذاته ، ولكن التحليل العلمي التفصيلي يؤكد وجود نمطا تقليديا في جميع المشاريع وبشكل منتظم . وان تحليل هذه المفاهيم (معايير التنظيم) والتعميم منها يمثل الخطوة الاولى نحو صياغة (نظرية الممارسة) theory of practice والتي ستكون قادرة على توفير استراتيجيات ادارة افضل للتنمية المكانية .

المقال معني بتطبيقات الجغرافيا الاجتماعية في تنظيم مشاريع التنمية المكانية ، وايضا معني في فكرة نظرية للممارسة . فكلا الجانبين (التطبيق والانعكاس من الواقع) متوافقان جدا ، ولكن هناك نقص هائل في المناحي النظرية لفهم ما يجري في الواقع عند ادارة مشاريع التنمية المكانية . وهذه احدي اكبر المشاكل في العلوم التطبيقية وذلك لانه يمكن تطوير الواقع نحو الافضل فقط عند استيعابه . ومع انه لا يمكن فهم الواقع من خلال وصفه ولكن يتم ذلك من خلال انعكاساته reflection . والمقال يعطي امثلة لتطبيقات وابحاث تتعلق بميادين التنمية الريفية و الزراعة .

تعليق ، عرف عن الجغرافيين اضطلاعهم بالوصف ، ويمثل الوصف مرحلة اولية لمعرفة الظاهرة قيد الدرس وتحديد حجمها وشكلها وابعادها المكانية ، مما يعين في الغور في اعماقها في مرحلة لاحقة لتحليل العلاقات الداخلية فيها والخارجية لها وما تشكله هذه العلاقات من انماط مكانية على وجه التحديد . ولما كانت الظواهر الجغرافية ، طبيعية ام بشرية ، متعددة الابعاد ويشترك في دراستها مختصون من علوم أخرى ذات صلة بها ، لذا توجب على الجغرافيين الاشتراك معهم في دراستها مما تحتم عليهم معرفة مفاهيم وتقنيات ونظريات تلك العلوم . ويربط عمليات التنمية بدراسات متداخلة التخصصات العلمية ، والاشترك في ورش عمل تجمع المعنيين علميا ورسميا في محفل واحد ، فقد اصبح ذلك ركنا اساسيا من اركان تأهيل الجغرافيين ليساهموا عمليا في خدمة مجتمعاتهم . وبهذه الخدمة، ومن خلال هذا النوع

¹ mutharalomar@gmail.com , Alomar.muthar@ymail.com استاذ الجغرافيا الاجتماعية ، متقاعد

www.muthar-alomar.com

² Markus Hilpert , Dela 18 • 2002 • 29-40

Ph.D., Institut für Geographie der Universität Augsburg, Lehrstuhl für Sozialund Wirtschaftsgeographie, Universitätsstraße 10, D - 86135 Augsburg

e-mail: markus.hilpert@geo.uni-augsburg.de

من التأهيل العلمي - المهني ، انتقلت الجغرافيا من الوصف الى التحليل العلمي التطبيقي (تطبيق المعرفة الجغرافية لأغراض تنموية) ، وتوسحت برداء التطبيق . وللمزيد من المعلومات عن الجغرافيا التطبيقية و مجالاتها ينظر موقع منتدى الجغرافيون العرب ، وموقع المترجم .

٢ - تحول جوهرى في الجغرافيا الاجتماعية

٢ - ١ الوصف العلمي - التخطيط المكاني - ادارة المشروع

عند النظر في تاريخ الجغرافيا الاجتماعية التطبيقية يلاحظ بعض التطورات المميزة . فهناك تحولا من الوصف العلمي نحو استشارات فاعلة عند رسم السياسات التخطيطية . وفي جميع الازمنة، وحتى في العصور القديمة ، كان للمعرفة الجغرافية استخدام في الشؤون الاجتماعية . فعلى سبيل المثال ، تحديد مواقع المواد الاولية ، المسالك البحرية الخطرة ، او الاستعمالات العسكرية . وخلال القرن الماضي على وجه الخصوص ، تعاظم الطلب على معرفة الجغرافيا الاجتماعية لاغراض التخطيط المكاني . وقد صمم العديد من الجغرافيين خططا او اعمالا استشارية في مجالات تنمية المظهر الارضي، القرى ، المدن ، او الاقاليم وبأفضل طريقة (Boesch , 198) .

ومن سوء الطالع ان العديد من هذه الخطط لم يتم الاعتراف بها ، لاسباب عديدة . والسؤال الاكثر اهمية ، كيف استجاب الجغرافيون الاجتماعيون عندما وجدوا ان ارائهم عن التنمية المكانية لم يؤخذ بها . لقد ادركوا عدم كفاية تقديم مقترحات جيدة ، الاله ان يكون لهم حضور وان يكونوا هم جزء من عملية التنمية المكانية ، اذا ما ارادوا تغيير شيئا ما .

وهذا هو التحول الثاني المهم في الجغرافيا الاجتماعية ، فلم يعد الجغرافيون ليكونوا استشاريين من خارج العملية التخطيطية ، لقد اصبحوا جزء منها. وقد عبر عن ذلك Schaffer 1997 بالجغرافيا الاجتماعية التفاعلية ، التي تعني تعزيز الجغرافيين لعملية التغيير حيثما تكون وتحدث . ويتطلب هذا أكثر من المعرفة الجغرافية الاعتيادية، فمن الضروري تطوير شامل لها لتضم الجديد في التقنيات و الخبرات . فمثلا ، في ميدان التخطيط الريفي ، على الجغرافيين ان يتعلموا كيفية تصميم مشاريع تنمية و استراتيجيات مع المزارعين لضمان تقبلهم لها . وعليهم تعلم كيفية قيادة ورشات العمل و ايجاد حلول بالتعاون مع المواطنين و الادارات و السياسيين من خلال تفاعلهم معهم في الميدان. فالتواصل والتفاعل قد اصبحا الاكثر اهمية من مجرد المعرفة النظرية .

من وجهة النظر هذه ، فان المشاكل الزراعية في سلوفانيا هي محط انظارهم كما هي المشاكل الريفية في اي مكان آخر ، فهناك مسيرات غاضبة للفلاحين في ليوبليانا . مما يعني ان السياسيين لم يستوعبوا مشاكل الاقاليم الريفية في سلوفانيا ، وهذا مشابه لجميع البلدان . وبعتماد فكرة (الجغرافيا الاجتماعية التفاعلية) على الجغرافيين ان ينظروا الى الاعتصامات كعملية للتعلم منها . عليهم ايجاد وعي لمشاكل الحياة الواقعية عند السياسيين . وهذه مهمة صعبة جدا في بعض الاحيان ، لانها تتجاوز حدود العلم الصرف ، والتأهيل النظري .

وهذه التغييرات ليست مثالية ، فلحد الان ، فان الجغرافيين الاجتماعيين في جامعة اوكستبرك يقومون بهذا منذ ١٥ سنة في العديد من ميادين الجغرافيا الاجتماعية (ينظر Schaffer/Zettler/Löhner 1999) . والعديد من الحكومات المحلية ، والمجتمعات او السياسيين المحليين والاقليميين يتساءلون عن اهمية الاستشارات و مدى تعزيز الافكار التنموية. وقد استحدث العلماء في جامعة اوكستبرك فرعا جديدا للدراسة يدعى "التنظيم الاقليمي" حيث يتعلم الطلبة الخبرات الضرورية المطلوبة لتنظيم وادارة مشاريع التنمية المكانية . فالطلبة يتدربون على قيادة ورش العمل ، كيفية بناء عمليات التعلم الذاتي، او كيفية ايجاد حلول مقبولة من الجميع .

٢ - ٢ التحول الثالث

وهو مميز جدا حيث قاد الى استحداث منظور جديد بالكامل للجغرافيا الاجتماعية التطبيقية. فالطلبة يصابون بخيبة امل عند زيارتهم الاولى الى القرى او الاقاليم حيث يديرون مشروع التنمية، والسبب راجع الى عدم تعاون المزارعين ، والحكومة المحلية غير مقتنعة بضرورة التغيير ، وعقبات السياسيين امام المشروع كثيرة . وهذه المشاكل تعود في جوهرها الى نظام التعليم لان الخبرة المتعلمة نظرية وغير كافية لضمان نجاح ادارة المشروع عمليا . ولكن ما هو مفتاح نجاح ادارة مشروع في التخطيط المكاني ؟ فعند طرح السؤال على مختص بعلم الاجتماع فالأكثر اهمية في نظره بناء شبكة تركز على الثقة و السلطة power . بالمقابل فان عالم النفس يرى انها لا تعتمد على المجموعة ، بل على عوامل رئيسة معينة ، وعلى الافراد المقتنعين بالفكار . بينما يعتقد التربويون بان الملامح الشخصية قابلة للتغيير ، لذا فانها الاكثر اهمية لتنظيم المجتمعات وتعليمها . اما الاقتصادي فيرى بان هذه اسباب غير رصينة ، وفي المحصلة النهائية فانها تستند على الوقت والنقود فقط . وهذه الاراء يمكن استمرارها لمعرفة آراء الاخرين من الاختصاصات والاهتمامات المختلفة . ولكن ما قد اصبح واضحا انه عند التفكير بالعوامل الاكثر اهمية لادارة مشاريع تنمية بنجاح فان الحالة معقدة ، غاية واسعة من المناحي النظرية، مجموعة من وجهات النظر العلمية المختلفة التي تبدو معقدة وغير قابلة للحل . وفي النهائية يبدو ان نجاح ادارة مشروع التنمية يعتمد اكثر على التوافق و الحظ اكثر من اعتماده استراتيجيات التنظيم والادارة .

وهذه حالة غير مريحة للعلماء ، ومع هذا فهناك امل في هذه الفوضى ، حيث يكمن نوعا محدد من التنظيم ، وذلك لان مشاريع التنمية المكانية عندما تدار من قبل من هم اكبر سنا من الزملاء فان احتمالات النجاح تصبح اكثر . والسبب في ذلك عائد الى خبراتهم الذاتية ، حيث يعرفون كيف يتعاملون مع حالات معينة عاشوها او اطلعوا عليها . وهذا لا يعني اكثر من اعادة ترتيب انماط معينة. فهم لا يدركون معرفتهم بالمعنى العلمي ، ولكن لديهم احساس بما يحدث بشكل منتظم في الغالب . فعندما يكون كل مشروع تنمية مكانية متفردا بذاته فان الخبرات ليست بذات قيمة ، فلابد من وجود انماط تتكرر . ومن هذه النتيجة تصاعد الامل في انه في جميع مشاريع التنمية الدينامية المعقدة توجد انماط بسيطة جدا تحدث ويمكن التعميم عنها . ولتطبيق الجغرافيا الاجتماعية فمن الضروري تحديد القواعد و مبادئ التراتب لاكتشاف معايير الادارة والوصول الى نظرية الممارسة (ينظر Hilpert/Huber ٢٠٠٢) .

تعليق ، عندما يكون الحدوث او التوقيع المكاني لشيئ ما بدون تكرار فذلك توزيع ، وفي حال تكرار الحدوث فذلك نمطا ، وتكرار التوزيعات مكانيا يؤدي الى تشكل النمط المكاني. ما يهم علميا ، وفي الجغرافيا على وجه التحديد ، النمط المكاني . لذلك اهتم الجغرافيون في دراساتهم وسعوا الى تاشير الانماط المكانية ، وفي جميع ميادين الدراسات الجغرافية ، وخضعت هذه الانماط لاحقا لدراسات معمقة عن العوامل التي شكلتها و المؤثرات الداخلية والخارجية التي تؤدي الى حدوث التغييرات فيها . تبع ذلك محاولة معرفة مسار هذه التغييرات ، و استكشاف دورة حياة الظاهرة قيد الدرس ، وكل ذلك تم بقصد التحسب (حساب احتمالات) لما قد يحدث في المستقبل القريب . وبالتأكيد ، فان معرفة نظرية بهذا العمق والسعة مهمة جدا وضرورية ، لصانعي القرار على وجه التحديد ، والسؤال الان كيف تقنع صانع القرار بنتائج ما توصلت اليه علميا بعد تقصي وتبصر؟

بهذا المستوى من الدراسات الجغرافية تم تحويل المعلومة ، بعد جمعها و تبويبها و تحليلها ، الى معرفة Knowledge . وجوهري ان لا تبقى هذه المعرفة حبيسة قاعات الدرس و رفوف المكتبات و مواضيع حوارات النخبة ، فهي عندئذ تكون عديمة الفائدة للمجتمع . ولكي تكون ذات قيمة للمجتمع وفاعلة في توجيه التغييرات التي تحصل فيه وتنفذ افعال صانعي القرار من سياسيين واداريين لابد من مساهمتها في صناعة القرار والمشاركة الفاعلة في رسم السياسات السكانية ، اي انتقالها من معرفة الى سياسة Policy . ومشاركة (نوي المعرفة

والدرابية) مع صانعي القرار في حوارات جادة لها انعكاساتها ومشاكلها الناجمة عن جهل الاثنين في الكثير من جوانب المشكلة او الموضوع . جهل الاكاديميين للتفاصيل العملية الميدانية التي يعيشها صانعي القرار والسياسيين ويعانون منها ، وجهل الاخيرين بالابعاد الشمولية للمشكلة واسبابها الموضوعية ونتائجها المتوقعة و سبل معالجتها جذريا . وتتعمق المشكلة وتتفاقم عندما ينظر اي منهما الى نفسه وكأنه صاحب الرأي الاكثر صوبيا وان الطرف الآخر يتعلم منه وعليه ان ينصاع الى وجهة نظره . فالتعصب في الرأي و دون التفاعل مع رأي الاخر هما العصا التي توقف عجلة التقدم ، لكلا الطرفين ، والمجتمع بالمحصلة النهائية .

المزيد من المعلومات عن العلاقة بين المعلومة والمعرفة والسياسة ينظر الى كورسات UNITAR الموسومة ب : *Measuring the Progress of Societies— Statistics, Knowledge and Policy: Understanding Societal Change*

٣ - البحث الجغرافي بين النظرية والتطبيق

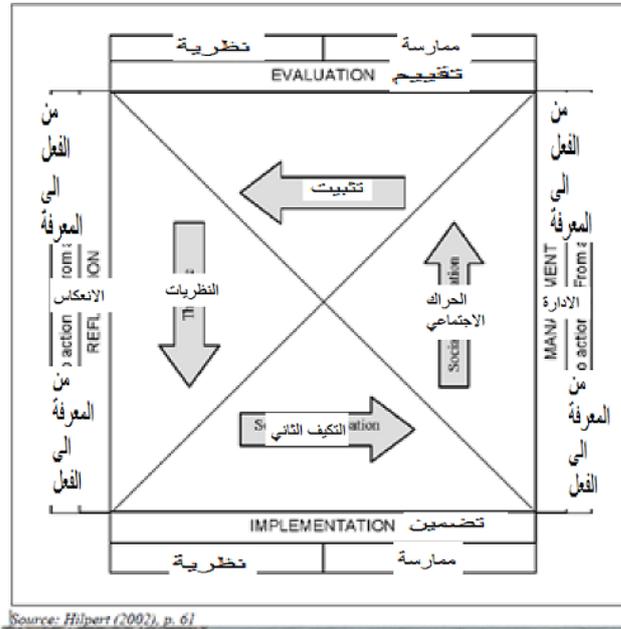
٣ - ١ البحث التطبيقي في الجغرافيا الاجتماعية

لاكتشاف مبادئ التنظيم المكاني ، ليس من الضروري فقط ممارسة ادارة المشاريع المكانية ولكن ايضا اعطاء انعكاساتها التجريبية وما تمخضت عنه من نتائج وبكثافة . يعني هذا ان العملية البحثية في الجغرافيا الاجتماعية التطبيقية يجب ان تجمع بين المنظورين النظري و العملي معا وبشكل متين ومتكامل . الشكل رقم (١) يعرض العملية البحثية في الجغرافيا الاجتماعية التطبيقية . وقد نظم الشكل حلقياً ، والنموذج يوفر وجهات نظر مختلفة لعملية الربط هذه :

- الجزء الايسر يدعى الانعكاس ، حيث رتبت نتائج العملية البحثية نظريا ، ونماذج نظرية جديدة ومفاهيم جديدة تستحدث نتيجة الممارسة.
- والتضمين هو المدخل للممارسة ، انها في العادة تحويل للمعرفة ، بصيغة استشارات لرسم السياسة التنموية على سبيل المثال .
- الجزء الايمن يضم الادارة الحقيقية للمشاريع عند الممارسة ، في ميادين الادارة الاقليمية لتنمية قرية على سبيل المثال .
- والتقييم يكون للبيانات التي تم جمعها و تفسير نتائج تحليلها بموضوعية وأمانة . وعند تقسيم الشكل من الاعلى الى الاسفل ، فان النصف الايسر يدعى النظرية ، اي العمل الاكاديمي في الجامعات و المؤسسات البحثية . والنصف الايمن حيث يتم ممارسة المشروع فعليا ، قرية او ورشة عمل على سبيل المثال .
- ومن الشكل تؤشر الحدود بين النظرية والممارسة ، وبالشكل الآتي :
- الانتقال من المعرفة الى الفعل (النصف الادنى) ، عند بدء تنفيذ المشروع خاصة ، التكيف الثاني والتعلم من الممارسة . يعني هذا ان على الباحث ان يتعمق في الحياة الواقعية ويتعلم محددات المكان الحقيقية ويدركها .
- وفي النصف الاعلى ، من الفعل نحو المعرفة ، على الباحث ان يتأكد من ملاحظاته ويحولها الى مقولات نظرية .
- النصف الايسر الاعلى ، التقييم و الانعكاس ، يضم مقاصد العلم النظرية ، حيث يتم تفسير النتائج التجريبية وتوكيدها .
- النصف الايمن الادنى ، التضمين و الادارة ، يشمل مهام العلم التطبيقية وهي جزء من ما يقصد به الجغرافيا الاجتماعية التطبيقية . ولكن عندما نتحدث عن الجغرافيا الاجتماعية كعلم ، فان هذا الجزء الصغير من التضمينات والادارة لا يكون قادرا وحده على انتاج معرفة علمية عن ما حدث فعلا عند الممارسة . فالجغرافيا الاجتماعية التطبيقية تشمل جميع قطاعات البحث المشار اليها آنفا . ويعني هذا أيضا ، أن الاستشارة السياسية لوحدها او ادارة مشروع

بعد ذاتها ليست علما نهائيا . ولكن وعند النظر الى ما يقوم به الجغرافيون الاجتماعيون التطبيقيون من ابحاث تعنى بتقييم و انعكاسات الواقع والحوارات الجادة الفاعلة مع المعنيين .

شكل (١)
علاقة النظرية بالتطبيق



٣ - الهوة الفاصلة بين النظرية والممارسة

إن غياب التقييم و المشاريع البحثية الانعكاسية (التفاعلية) في الجغرافيا الاجتماعية التطبيقية وراء وجود الفاصل الكبير بين النظرية والممارسة والى النقص في النماذج النظرية . والسؤال الذي يطرح : كيف يمكن تفسير جميع النتائج التجريبية ذات الصلة بادارة التخطيط المكاني ؟ وبالطبع هناك مدى واسع من النماذج النظرية لمعطيات معينة ، مثل الاتصالات ، الادارة ، التنمية الاقليمية ، التنظيم ، او عملية التعلم . ولكن جميع هذه النظريات غير قادرة على تفسير ماذا يحدث فعلا عندما نطبق المعرفة الجغرافية . فالفاصل بين نتائجنا التجريبية و الاحتمالات النظرية للتفسير كبير جدا . والاكثر من هذا ، فان الحالات المميزة الحقيقية ، والاحداث ومشاريع التنمية لا يمكن تفسيرها ولا توقعها في اية نظرية . وللتوضيح نعرض مثالين .

- يريد البعض من الجغرافيين القيام بمشاريع تنمية الزراعة اقليميا . ومن اجل الحصول على الدعم المالي من الحكومة عليهم وصف المشاكل التركيبية بالتفصيل . وعند عرض المشاكل جميعها على المزارعين، والادارة الاقليمية ، يكون رد الفعل الغضب وذلك لانهم يعتقدون ان تحليل الجغرافيين يقلل من مساعيهم و يبخس جهودهم . وبدون الدعم من الحكومة يصعب الاعتراف بالمشروع وقبوله . فاي نظرية تتوقع مثل هذه النتيجة ؟

- مثال آخر ، يقوم بعض الجغرافيين بالمشروع بهدف ايجاد اهتماما اقليميا معيناً ، لذلك يتصلون بمحطة الاذاعة الاقليمية والسؤال عن امكانية تعاونهم معهم . ومن خلال الاجتماع الاول ، يكون مدير المحطة مسرور جدا ويقدم بعض مجالات التعاون بنفسه . وبعد ثلاث اسابيع ، وخلال الاجتماع الثاني يصرح بانه غير راغب في التعاون ، فماذا حدث ؟ لقد علم بانهم قد طلبوا مساعدة صحيفة محلية ، موقفه منها غير ودي . وايضا اي النظريات تتوقع مثل هذه المشكلة .

في الواقع ان هذين المثالين البسيطين يعرضان تنوعا في المشاكل عند ادارة المشاريع المكانية ، ولا نجد علاجا لها في اي كتاب منهجي ، رغم ان جميع العاملين في الجانب التطبيقي يعرفون هذه المشاكل. وهي ليست متفرقة الحدوث ، unique ، فاي نظرية تشرحها ؟ فالفاصل بين الاشياء التي نقوم بها تلك التي يمكن تفسيرها كبير جدا في الجغرافيا الاجتماعية التطبيقية . لذا فانه اكثر من ضروري التقدم باتجاه وضع اسس نظرية للجغرافيا الاجتماعية التطبيقية .

تعليق ، الممارسة العملية للمعرفة الجغرافية وتحويلها من معرفة نظرية الى فعل ميادي وضع الجغرافيين على المحك ، إما التوقع في قاعات مغلقة مع الطلبة والزملاء ، او الانفتاح على المجتمع ودراسة مشاكله والتعامل مع مؤسساته لمعالجة هذه المشاكل، وبالتالي الانغماس في دوامة مدى توافق النظريات الصرفة التي عرفوها مع الواقع وما يجري فيه فعليا . تعكس نتائج مثل هذه الممارسات ، ويقدر تعقدها و حدة مشاكلها وقساوتها مساحة الهوية الفاصلة بين النظرية والتطبيق وحجمها . وفي الواقع انها عميقة لاسباب كثيرة لا مجال لذكرها هنا . ولكن رأب هذا الصدع لا مندوح منه ، وبدون القيام بذلك تبقى الجغرافيا متخلفة غير نافعة للمجتمع ، ويبقى المعنيون من غير الجغرافيين في دوامة معالجة مشكلة مكانية بطرق لا مكانية . فدور الجغرافيين هنا هو اكثر من تأطير المشكلة او المشروع مكانيا ، بل تحليل ابعاده المكانية موضعاً و موقعا . موضعاً ضمن مساحته المكانية ، وموقعا ضمن اطاره الجغرافي وعلاقاته بما يحيط به . وتوجه العلوم جميعا نحو التطبيق ، ونحو التكامل مع بعضها البعض ، ونحو الاخذ بالبعد المكاني في دراسة المشكلات ومعالجتها ، يلزم الجغرافيين (أكثر من غيرهم) الخوض في معترك الممارسة و التأهل لها علميا وتقنيا ونفسيا .

٤ - نحو نظرية الممارسة

٤ - ١ اكثر من مشاكل تجريبية : قياس التغيرات المكانية

وبالاضافة الى جميع التحديات المشار اليها آنفا ، فالمشكلة الثانية ترتبط بالمنهج التجريبية . فلتحليل مشاريع التنمية المكانية ، لا يكون الوصف كافيا ، ويعتمد نجاح المشروع او فشله على العديد من العوامل ، ولهذا السبب فان القيام بتحليل تجريبي تفصيلي ضروري جدا . ولكن اذا اريد جمع بيانات عن ما يحدث فعلا عند ادارة المشروع، ونجهل ماذا نقيس ، تركيبة شبكة العمل ؟ عدد التعارضات ؟ انواع الاتصالات ؟ انواع القرارات ؟ ام مدى الموارد : مثل الوقت أو النقود ؟ وما هو المميز والضروري لنجاح المشروع ؟ ويضاف الى ذلك ، الجهل بطريقة القياس ، هل من خلال المقابلات مع الفاعلين actors ؟ أم من ملاحظات ورشة العمل وما يتمخض عنها ؟ ام بتحليل وثائق ذات صلة بالمشروع ؟ وبديهي فاننا لم نختبر لحد الان اية مؤشرات لادارة التخطيط المكاني ولا ملاحظات نظرية جغرافية اجتماعية .

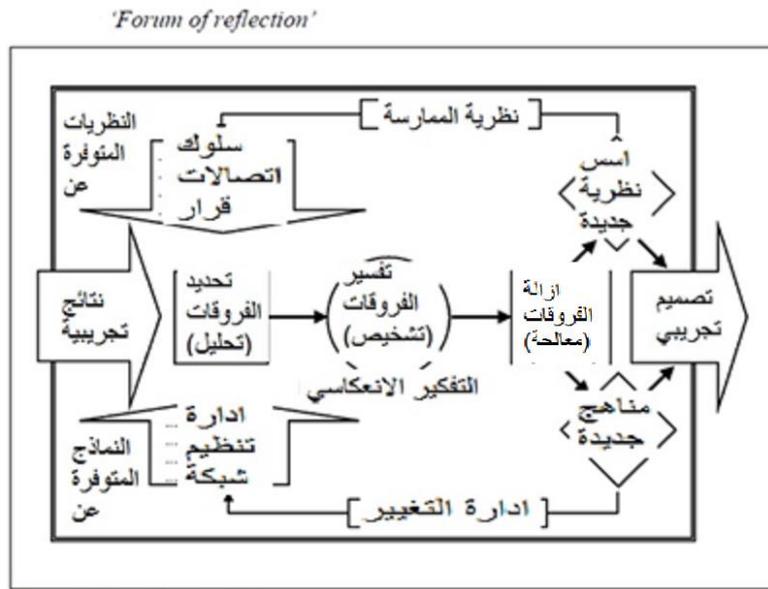
٤ - ٢ اطار الانعكاس

ليس كافيا للجغرافيين التطبيقيين ان يقوموا بأبحاث تطبيقية ، فالقيمة الاساس لهذا المنحى تتطلب ربط تقدمهم بالمنظرات الفكرية (Pacione 1999, p. 2) . والسؤال هو : لماذا نظرياتنا غير قادرة على تفسير او حتى توقع ظاهرة حقيقية ؟ والجواب نجده في نقص في النظريات والنماذج ، وكذلك في عدم كفاية النماذج التجريبية . ولمعالجة هذه المشاكل النظرية والتجريبية فنحن بحاجة الى "اطار الانعكاسية" (شكل رقم ٢) . ومن الشكل يمكن ملاحظة ، والقيام ب:-

- مقارنة نظامية لجميع النتائج التجريبية مع الامكانات النظرية للتفسير بقصد تحديد الفروقات النظرية في التفسير مع النتائج التجريبية .
- وهذه الفروقات تفسر في حوار انعكاسي تفاعلي .
- وهذه هي الطريقة الوحيدة لتطوير نظريات افضل و مناهج تجريبية احسن .

التعليق : باعتماد نظريات تعنى بالاتصالية ، السلوك ، وصناعة القرار ، واستخدام نماذج الإدارة ، في التنظيم ، وفي الشبكات عند ممارسة التجربة يتم تحديد الفروقات وتحليلها . وعند تفسير نتائج التحليل تفاعليا (معرفة انعكاساته على الواقع ومن خلال الحوار مع المعنيين) يتم تشخيص الحالة (المشكلة) ، وحيثما تمارس عملية ادارة التغيير وتوجيهه نحو ازالة الفروقات حينها تحدث (المعالجات). تؤدي هذه العملية في محصلتها النهائية الى اعادة نظر في النظريات والمناهج السابقة واجراء تعديلات او صياغة بدائل . بعبارة اخرى ، وضع تصميم تجريبي يخضع للاختبار وما قد ينجم عنه من تنظير ومناهج جديدة . وهذا يمكن تسميته بداية وضع نظرية الممارسة ، حيث تطور النظريات و المناهج الاصلية في ضوء حوارات تفاعلية مع المعنيين تؤدي بالنهاية الى الخروج بأسس نظرية و مناهج جديدة تربط النظرية بالتطبيق من خلال الممارسة العملية .

شكل (٢)
شكل الانعكاسات



٣-٤ منظور بحثي

ان المنحى الموصوف أنفا للجغرافيا الاجتماعية التطبيقية يعنى بالفوضى و التنظيم ، حيث ينظر الى الانماط الاعتيادية والتي تتكرر في بيئة اجتماعية - مكانية معقدة جدا . إنه منحى متعدد التخصصات العلمية يجمع وجهات نظر علمية مختلفة لظاهرة معينة في بوتقة الممارسة . وانه قريب جدا من مبادئ التنظيم الذاتي في المعنى الاجتماعي . ولا خلاف على انه من الصعب ايجاد تفسيرات للسلوك الانساني ، وعلى نظريات الجغرافيا الاجتماعية التطبيقية ان تهتم بافعال الناس وتقرن ذلك ليس بالاسباب بل بالقلب ايضا (Hasse 1999) . وهذا المنحى النظري الجديد للجغرافيا الاجتماعية التطبيقية هو البداية ، وهناك عمليات بحثية تؤكد على ان هذا مسار يستحق الاتباع . فهناك ابحاث قيد الانجاز في جامعة اوكستبرك ، اثنين منها ستنتج قريبا.

البحث الاول يحلل انماطا معينة لصناعة القرارات عبر عدد كبير من مشاريع التنمية الاقليمية. والنتائج تشير الى ان نجاح المشاريع اوفشلها يعتمد بدرجة ما على الانماط الاعتيادية

المعنية بصناعة القرارات . وتحدث هذه الانماط بشكل منتظم في مشاريع التنمية المكانية (Conrads 2003) . ومشروع البحث الثاني يحلل نماذج في ادارة الشبكات وتنظيمها . توحى النتائج بان العديد من الاحداث و الحالات التي تبدو متفردة ، لها اسبابها الكامنة في تفاعلات الانماط الاعتيادية . و تحدث انماط التواصل بشكل منتظم في مشاريع التنمية المكانية (Huber 2003).

تعليق ، احصائيا ، كل حدث event يتكرر ياخذ نمطا من التوزيع . والاحصائيون درسوا التوزيعات وحدوها (بواسون ، ثنائي ، طبيعي ، تائي) ، ولهذه التوزيعات ما يقابلها مكانيا طالما ان الحدث يتكرر مكانيا . فطبيعة تكراره و حجمه (عدده) يحددان نوعه ، اي نمطه المكاني . ومن ناحية المنهج السلوكي في الجغرافيا الذي تطور كثيرا منذ سبعينات القرن الماضي وادبياته لا حصر لها ولا عد ، بدء من دراسة سلوك التبضع *retailing geography* التي ربطت بين المكان و الحالة العائلية و الاقتصاد وصناعة القرار على المستوى المستهلك والمنتج والمخطط . والمنهج السلوكي احد مناهج الجغرافيا الاجتماعية التطبيقية ، وذلك لأن السلوك الجمعي ببصماته المكانية من موضوعات الجغرافيا ذات الصلة الحميمة بالتخطيط المكاني .

٥ - النتيجة

على الرغم من ان مشروع التنمية يبدو متفردا بذاته ، إلا ان العديد من احداثه متطابقة ، تشير النظرة العلمية التفصيلية الى وجود انماط اعتيادية و مبادئ مكررة تحدث في جميع المشاريع (ينظر 1992 Dörner) ولفهم الواقع والارتقاء باستراتيجيات التنمية (نحو استشارات سياسية افضل ، مثلا) ، من الضروري اختبار وتفسير هذه التراكمات و العمليات . ونتائج قيمة لبحوث رصينة اوضحت امكانية ايجاد تراتب في هذه الفوضى و تحديد الضوابط باتجاه صياغة " نظرية الممارسة" .

ولكن ، اجمالا ، فهذه هي الخطوة الاولى نحو ايجاد معايير ادارة المشاريع التنموية وتنظيمها . في الواقع ، توحى النتائج الاولى بانه تحت سطح الواقع المعقد هناك انماط اعتيادية تتكرر وهي التي تفسر سلوكنا في بيئة التنمية المكانية . ويتوقع أن يحدث تقدم أكثر باستخدام نظم المعلومات الجغرافية لتجسيد مشاريع التنمية المكانية . ولكن مازال هناك الكثير المطلوب تحقيقه ، والعديد من الاسئلة مطروحة تبحث عن اجابة . وفي الختام ، فان تحديد معايير الادارة تتقدم خطوة بخطوة ، ولكن ولاجل إحراز تقدم في الجغرافيا الاجتماعية التطبيقية فمن الضروري تحقيق تقدم في عملية صياغة "نظرية الممارسة" وتطويرها .

تعليق ختامي ، بعد انتقال الجغرافيا من مرحلة المعلومة الى مرحلة المعرفة العلمية ، فانه لا يحق للجغرافيين ان يقفوا مكتوفي الايدي يتطلعون الى مرحلة الفعل (المشاركة الفاعلة في رسم السياسات وصناعة القرار) دون أن يتأهلوا علميا وتقنيا ومهنيا لهذه المرحلة المهمة جدا والتي ستنقل الجغرافيا كعلم نقلة نوعية ، وتضعها على قدم المساواة مع العلوم الاخرى التي دخلت الالفية الثالثة بعناد مناسب . وبدون هذه المشاركة الفاعلة يستحيل صياغة نظرية الممارسة .

ولنظم المعلومات الجغرافية دور بارز في تسليح الجغرافيين بعناد (تقنيات تحليلية) تساعدهم في سبر اغوار اعماق من السابق في موضوعات كانت المعرفة فيها منحصرة بالوصف ، و اكتساب معرفة اكثر شمولية وخبرة بحثية - مهنية أعمق من خلال الربط بين موضوعات Themes معينة وتحديد الانماط المكانية التي تشكلها هذه الموضوعات مع بعضها البعض ، و تجسيد وتجسيم الظاهرة قيد الدرس وما يمكن ان تكون عليه طبقا لاحتمالات

معينة في المستقبل القريب . ويتوقع ان يؤدي الاستخدام الواسع والمكثف لتقنيات نظم المعلومات الجغرافية من قبل الجغرافيين وصانعي القرار (قواعد البيانات المكانية – الحكومة الالكترونية) الى طفرة علمية في الجغرافيا والادارة وصناعة القرار .
وعيب مشين على الجغرافيين ان يتخلفوا عن هذه التظاهرة العلمية – الحضارية ، فالجغرافيا كعلم على المحك في الوقت الراهن، إنها امام مفترق طرق : بين الحياة العلمية المعاصرة أو الانزواء في ركن ناء والانتحار تخلفا . وعلى الجغرافيين أن لا يكتفوا بتقديم المعلومة وتبويبها و تجميل صيغة عرضها، بل التعمق في تحليلها و مناقشة ما تحويه من معان و اشارات غير مرئية للشخص الاعتيادي ، والمساهمة الفاعلة في صياغة السياسات وصناعة القرارات الوقائية والعلاجية و مراقبة *monitoring* التغيرات الاجتماعية والبيئية ، فهذا واجبهم الوطني – العلمي . بهذه الصيغة (التطبيقية) فقط تتطور الجغرافيا وتتقدم في ميادين المعرفة و البحث العلمي ، وترتقي سلم العلم لتعود ملكة كما كانت توصف في زمن ما .

References:

- Boesch, M.: Engagierte Geographie. Zur Rekonstruktion der Raumwissenschaft als politik-orientierte Geographie. Stuttgart, 1989
- Conrads, R.: Regionales Arbeitsmarktmanagement – Erfolg und Misserfolg in der Umsetzung regionaler Beschäftigungs- und Bildungsstrategien. In: Schaffer, F.; Tröger-Weiss, G. (Ed.): Implementation der Raumordnung. Augsburg, 2003 (to be published)
- Dörner, D.: Die Logik des Mißlingens. Strategisches Denken in komplexen Situationen. Reinbek, 1992
- Hasse, J.: Das Vergessen der menschlichen Gefühle in der Anthropogeographie. In: Geographische Zeitschrift. Vol. 2/1999, pp. 63-83
- Hilpert, M.: Angewandte Sozialgeographie und Methode. Überlegungen zu Management und Umsetzung sozialräumlicher Gestaltungsprozesse. Beiträge zur Angewandten Sozialgeographie, No. 47; Schaffer, F.; Thieme, K.; Poschwatta, W.; Zettler, L. (Ed.). Augsburg, 2002
- Hilpert, M.; Huber, A.: Zufälle und andere Regelmäßigkeit: Die Logik des Management of Change. Ein Beitrag zur Indikatorenfrage in der sozialgeographischen Netzwerkforschung. In: Hentrich, J.; Hoß, J. (Ed.): Arbeiten und Lernen in Netzwerken. Eschborn, 2002, pp. 101-113
- Huber, A.: Management sozialräumlicher Gestaltungsprozesse. In: Schaffer, F.; Tröger-Weiss, G. (Ed.): Implementation der Raumordnung. Augsburg, 2003 (to be published)
- Pacione, M.: Applied geography: in persuit of useful knowledge. In: Applied Geography. Vol. 19/1999, pp. 1-12

- Schaffer, F.: Interaktive Sozialgeographie. Zur Konzeption einer praxisbegleitenden Implementations-Forschung. In: Klemencic, M.M. (Ed.): DELA 12. Socialnogeografski Problemi. Ljubljana, 1997, pp. 31-58
- Schaffer, F.; Zettler, L.; Löhner, A.: Lernende Regionen. Umsetzung der Raumplanung durch Interaktivität. In: Schaffer, F.; Thieme, K. (Ed.): Lernende Regionen. Organisation – Management – Umsetzung. Schriften zur Raumordnung und Landesplanung. Vol. 5. Augsburg, 1999, pp. 13-58